دمعةٌ حَرَّة

ديوان شعر



دمعةٌ حَرَّة

ديوان شعر

هبة ماردين





اسم العمل : دمعةٌ حَرَّة

اسم المؤلف و دولته : هبة ماردين - سوريا

تصنيف العمل الأدبي : ديوان شعر

الترقيم الدولي : 0 - 0 - 85455 - 977 - 978

رقم الإيداع : 25796 / 2018

رقم الطبعة : الأولى

تصميم الغلاف : محمد وجيه

تدقيق لغوي : سيد عفيفي

لوحة الغلاف : الفنان التشكيلي المهندس الرحال

الناشر : دار ديوان العرب للنشر و التوزيع - مصر - بورسعيد

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

www.dewanelarab.com : الموقع الرسمي للدار

الإهداء

الإهداء الأول:

إلى من خُطت لروحه حروفي...

ورسمت دمعة حرّة

إلى شهيد قلبي أخي "أحمد ماردين"

....

الإهداء الثاني:

إلى كل من أحب حرفي وتابعه بشغف ...

وإلى كل من رافق مشواري الأدبي وتعب معي.

مع فيض حبي

هبة ماردين

****



مقدمة الكتاب

مقدمة نقدية لديوان " دمعة حرّة "

للكاتبة السورية هبةماردين

أولاً: صراع الحاضر والماضي

تشيخ الأقلام ويطوي الزمن أسماء الأدباء لكنّ اللغة لا تشيخ، ومع تطور اللغة وانفتاحها لتلبي حاجة الناطقين بها يتبعها الأدب في دروب التنامي، منذ عصر المعلقات الشهيرة في الشعر العربي تتناقل خطوات الشعر للمضي قدما في سبيل إشباع ذوائق القُراء من خلال البث الذي تضطلع به قرائح الأدباء، وما تفرزه العقول من أفكار تحتوي كل مستويات الإنسانية في ساحة القراءة.

وقد أسرف الكثيرون من النقاد والشعراء على أنفسهم في تعريف الشعر ومسمياته، وبات التصنيف قضية لا تنتهي بين التنظير والتأطير، وبين تشيع كلّ جبهة لما تعتبره قناعات، فمن متعصب للشعر القياسي أو العمودي الذي يعتمد بحور الخليل بصرامة إلى متعصب لشعر التفعيلة الذي يقوم على ذات التفعيلات في بحور الخليل بشكل متحرر عن القالب الجامد للقصيدة العمودية، وبين أنصار الشعر النثري الوجداني الذي أدار ظهره للأوزان والقوافي، وانطلق في فضاءات لانهائية... وما زال الصراع قائماً وسيظل دون حسم.

لن يحسم الصراع لأسباب متعددة أولها: أن اللغة تتسع لكل ألوان الجمال التعبيري من أول الشذرة ذات الكلمات التي لا تتعدى أصابع اليد إلى القصيدة الألفية التي يقطع قارئها ساعات وربما أياماً، الإبداع ليس له حدود والشعر لا توقفه الحدود، ثانياً: لأن الإبداع في مجال اللغة والأدب لا سقف له سيظل التطور في الحركة الشعرية بلا نهاية، وقد تتطور الشعرية المعاصرة إلى ما هو أبعد من الصراع التقليدي بين شعراء العمودي والحر، وثالثاً: لأن الفكر

الإنساني دائم التجدد والتطور بما يجعل من نمو الكائن الشعري أمراً حتمياً ليلبي حاجة الفكر المعاصر.

والحقيقة أنني لا أجد سبباً منطقياً للصراع ما بين أنصار الشعر العمودي والشعر الحر، وأراه مضيعة للوقت والجهد في تنظير لن يوقف عجلة التطور، وإن كان لا محالة سيكون جدلاً حول قضية التصنيف والتجنيس فلنطلق على كل فن شعري ما يصفه بدقة، ولنترك ما قيل قابلاً للتعديل، أطلقت نازك الملائكة اسم (الشعر الحر) على قصيدة التفعيلة فعارضها جبران بأن تسمية (الحر) تنطبق على ما لا يلتزم قواعد وتفعيلات وهو محق من وجهة نظري، وحار النقاد في الحدود الفاصلة بين القصيدة النثرية والخاطرة بل ربما تجنبوا الخوض في البحث والتأسيس لكل فن شعري منهما، وإذا أردنا أن نكون أكثر دقة فليكن لدينا تسمية الشعر العمودي في جانب وهو ما يلتزم التفعيلات والقوافي، ثم تسمية الشعر النثري في جانب آخر، ثم يندرج تحت الشعر النثري عدة فنون مثل قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر والخاطرة

الوجدانية والمونولوج، وهنا ينتهي الصراع ليبدأ التأسيس لكل فن نثري على حده من حيث الشكل والمضمون.

ثانياً: الواقعية في شعر المعاصرين

وتعريف الواقعية الشعرية ببساطة هو ميل الشاعر إلى التزام الواقع بموضوعاته وتراكيبه وصوره، والابتعاد عن التخييل بقدر ما يقدم وصفاً قريباً لذهن القارئ، وهذا الاتجاه موجود منذ فجر التاريخ الأدبي إلى الآن، فيختلف من عصر إلى عصر بنسب متفاوتة، ولعل عصرنا بظروفه الطاحنة قد جفف شيئاً ملحوظاً من مخيلة الكتاب والشعراء لتعرية الواقع أكثر مما تعرى بفعل السياسات والأنظمة والحروب والدموية التي تغشت كل بقاع الوطن العربي، ومن هذه الواقعية أن عزف الكثير من قراء الشعر والأدب عن النصوص المطولة وابتغوا الأدب الشذري المقتضب، وبذلك مال الكُتّاب والشعراء لإنتاج تلك النصوص القصيرة، ومن هذه الواقعية كذلك أن دخلت

الظروف الطاحنة هذه في غمار الأدب، فبات الشعراء يلوون في كتاباتهم على الأوطان الضائعة، والشهداء الذين طوتهم الأرض، بل والشهداء الأحياء الذين يقفون على حافة الموت، وإذا طالعت منتديات الأدب في وسائل التواصل لن يخلو يوم من قصائد الرثاء ومبكيات الثكالى والأيامى على ذويهم من ضحايا السياسة والعنصرية والتطرف العقائدي والديني، ومن هنا تأتي التقدمة النقدية لهذا الكتاب وكاتبه...

والذي يتابع حركة التطور الأدبي بين الأدب القديم والحديث والمعاصر سوف يلحظ بسهولة تلك الانتقالية الإجبارية لشعراء المعاصر وأدباءه إلى نزف كلماتهم وأحاسيسهم في الشعر كما تنزف الشعوب فقراً ودماءً، وسوف يلحظ استنزاف واستهلاك مفردات الشجن والقهر والظلم التي ينفقها الشعراء بسخاء في كتاباتهم المعاصرة، حتى في نصوصهم الرومانسية يسحبون بعض التشبيهات والاستعارات الشجية التي أجبرهم الواقع على خوض تجاربها، وعندما نقارن أدب السبعينات والثمانينات من القرن العشرين بأدب ما بعد الألفية الثانية يجد انتقالية

واضحة جلية من سعة الوجدان ورحابة الروح إلى ضيق النفس وصراعات الفكر.

ولعل عنوان هذا العمل (دمعةٌ حرّة) يسير بنا في نفس المسار، الدمعة جاءت قسراً مما خبرته الكاتبة في عوالم الواقع القبيحة، وبالرغم من كونها دمعة لا ينتجها إلا الحزن والقهر إلا أنها دمعة حرّة تأبى الصمت، وتستصرخ من ينصرها من بين الأحرار.

......

حول أسلوب الكاتبة

أولاً: تهجين النثر بالسجع

يظهِر أسلوبُ الكاتبة تطوراً فيما بعد الصراع التقليدي بين أنصار كل من الشعر العمودي القياسي والشعر النثري، مثلها مثل الكثير من الكتاب الذين يكتبون خواطرهم بحرية مع الميل إلى الإيقاع الخارجي باستعمال

السجع وبتقسيم شطرات النص تقسيماً متجانساً متشابهاً في الطول والقصر وذلك دون الالتزام بوزن ولا تفعيلة، وهذا التوجه الشعري- كونه تجديداً- فقد قوبل بالرفض من بعض النقاد والشعراء الأصوليين، والرأي عندي أن هذا ليس بعيب ولا نقيصة، ولنا في القرآن الكريم مثل وهو كلام الله، فالقرآن جاءنا باللسان العربي المبين، وهو يلتزم السجع في غالبه وتشهد على ذلك رؤوس الآيات.

ثانياً: الموازنة بين المجاز والواقع

نلاحظ أن أسلوب الكاتبة في هذا الكتاب يوازن بين التصوير المجازي الذي يتميز به النثر الشعري كأحد الركائز البلاغية وبين انتقاء لقطات مشهديه من الواقع، وتصهرهما معاً في النص الواحد بكل اقتدار ومهارة، وهذا المزيج جاء مناسباً لموضوع الكتاب الأساسي في مرثيتها لأخيها الشهيد، فهو موضوع تغلب عليه الواقعية.

ثالثاً: صقل اللغة

داومت الكاتبة في كلِّ نص على تقديم وجبة أدبية مشبعة للقارئ من خلال تنويع الأساليب البيانية بين الخبر والإنشاء والاستفهام، وكذلك كان للجمل الظرفية نصيباً مناسباً في إنتاجها وهو ما أفاد في جانب التوصيف والمشهدية، كما جاءت اللغة سلسة جزلة ولم تلجأ الكاتبة إلى استعمال مفردات معجمية يستغلق فهمها، بل حرصت على مفردات السهل الممتنع، وتميز أسلوبها اللغوي بحسن البيان ودقة الاختيار والمهارة في رصف الجمل تباعاً، وأخيراً أحسنت تقسيم العبارات في سياقات النصوص وتركت الفضاءات البصرية المناسبة للقارئ ليسهل عليه إدراك المعاني.

رابعاً: سردية الشعر

في بعض نصوص الكتاب زاوجت الكاتبة بين الشعر والسرد بالانتقال من حدث إلى آخر بشكل متسلسل، كما وضح في نص (ويحدث أن) ونص (سألني البحر)، من ناحية اللغة يكون الشعر بمسحة سردية عندما نستعمل روابط من حروف العطف والاستدراك والجمل الظرفية الزمانية والمكانية في نسيج مسترسل متصاعد، مع الاستمرار باستعمال المفردات الشعرية والصور المشاعرية المحلقة في عالم المجاز، ويتسم الشعر ذو المسحة السردية بتوليفة من الأفعال في الزمن الماضي والمضارع للجمع بين الإخبار والوصف والاستمرارية.

الكاتب والناقد سيد عفيفي

عضو اتحاد كتاب مصر

*****

قراءة نقدية لنص دمعةٌ حرّة

المهندس الرحال: وإليكم قراءتي المتواضعة عن النص...

(دمعةٌ حرّة) ... الدمعة دليل حزن، بل هي آخر محطات الحزن، بها يُعلَنُ عن ما آل إليه الحال، ومن خلال ذرفها ربما يستريح الموجوع في أغلب الأحوال، لكن أن تردفَ الكاتبة مفردة الـ (دمعة) بمفردة (حرّة) لتجعلها بداية لانهاية؛ فهنا قلبتْ الكاتبة الحال وجعلتْ من نزول الدمعة بداية لرحلة الأسى، رحلة يكون المتلقي هو الرحّالة فيها..

تذهب الناقدة الفرنسية سوزان برنار إلى ((أن لقصيدة النثر إيقاعها الخاص وموسيقاها الداخلية، والتي تعتمد على الألفاظ وتتابعها، والصور وتكاملها....) هنا لو أسقطنا هذا التعريف على مفردات وصياغة وتركيب القصيدة لوجدنا فيها دلائل وعلامات ترشدنا إلى ذلك...

(في القلب خفقان، غريب الشجن) وأنا أقرأ تلك المقدمة، كنت أتحسس الصوتَ الذي يردّدها، تعيده أصداءٌ من

أربعة أركان كلّها تتجه نحو مركز واحد فيشتدّ وقعُها، فلقد كان نذيراً ذاك الخفقان، وأكّده شجَنُه الغريب رغم أن الكاتبة قد بيَّنَتْ لنا ضمنا أن القلب قد اعتاد على الخفقان، بقولها الذي ابتدأته بشبه الجملة (في القلب) وأخبرت عنها بالمفردة النكرة (خفقان) وبذا فإنه اعتاد أن تكون له صفة الشجن، لكنه هذه المرة غريب الشجن....

ولأن أدوات الكاتبة هاهنا -من إحساس وحروف -كلها معتّقة بحزن وسخَّرَتها الكاتبة بأسلوب التوغل رويداً رويداً وصولاً إلى صرخة الألم التي بها يُخْتَمُ وصفَ الحال؛ نرى الكاتبة قد جعلتْ لـِ (الحلم) عنقاً، طوّقته أيادي أشباح رامَتْهُ صريعاً، ولإحكام تلك الأيادي إطباقها، سال الدمع بلون أسود ليُخْبِرَ من يتحرّى مستوى الألم من خلال لونه إذا ما صادرت أيادي الأشباح أخر (بحّة) صوت من الممكن أن تلفظها شخصية النص.... إلا أن ذلك لم ينلْ من إصرار شخصية النص... بل زادها ثورة وقوة، فاستعرتْ نار الثأر ممن وأد الفرحةَ في قلبها وأبدلها حزنا على فقيدها لما تبقى من سنوات العمر... حتى صارت

الأصوات، كلّ الأصوات كأنها تصدح بكلماتها بلغات غريبة لم تكن لتسمع بها من قبل، لكنها تفعل فعلتها في الانقضاض على سكون الروح الظاهر... والمتلاطم أمواجاً في الداخل... ثم تختصر الكاتبة وصف حال شخصية نصّها بقولٍ ربَّما يُجدي وربما لا...، لكنه حتماً يردف ليؤكد مستوى الألم وما أحدثه من انقلاب داخل ذات الشخصية فتؤكد ذلك بقولها

(وكأن كل ما كان خيال)

تنتقل الكاتبة بعد أن قدَّمتْ لنا تلك التوطئة لتوثق عناصر هامة تعتبر من مكملات الأضواء والظلال التي تمنح الصورة كل تفاصيلها وتجسد دقائق ما فيها، وما توظيف الكاتبة لــلِمفردات (خضاب بارد، حلم عليل، يتكور داخل حزني، الدخان الذي يملأ الدوائر...) إلا صنعة فنان استنفر كل ما في داخله من إحساس لوصف حالة حزن تستحق ولن تتكرر كمثلها حالة... فأجادت الكاتبة مرتين، مرة حين انتقت من بين الكم الهائل لمفردات الحزن واختارت تلك من بينها لتجعلها وما تبعها من جمل تصف؛ فتُجزِل... ومرة أخرى حين رسمت

لتلك الكلمات توالي حصول أحداث حتى ساقتها كل مفردة في مكانها لتحقق ما تبغي أو تروم..

(يؤلمني موج ذاكرتي وصخوري باتت تتحطم) الكاتبة هنا صاغت بتلك الجملة مثلاً وحكمة لمن ينشد الوصف الدقيق لكل ما يعج بذاكرته من مواقف محزنة... شبهتها الكاتبة هاهنا بأمواج تتلاطم، بحرها فكر شخصية النص، وبها وبمدها وجزرها تعصف بكل شواطئه، عصفا لا يتوافق مع موعد محاق أو اكتمال لقمر مُنْتَظَرٍ... إلا لحظة انتحاب أمٍّ لا يُتَكَهَّنُ أوانها ولا يعرف متى تخفت أو تثور نار بركانها....

((كصنم فوق فوهة ...نفثت حممها في حشايا فتحجر)) هنا جعلت الكاتبة من مأساة شخصية نصها دورة حياة متكاملة، تبدأ فتمر بمراحل وأطوار انتحاب وحزن وضجيج آهات... ثم تعود ثانية إلى نقطة تذكر ما تم فقده من عزيز لتعيد تشكيل صور أحزانها وفق ترتيب يشابه سابقه حتى صار هذا التشكيل وفق القاعدة الفيزيائية طردي العلاقة كلما مرّ وقت...

أما جملة

((تلتفت روحي إلى الظل ترنو... ويرنو... ولا يلتقيان))
فأجدها مركز ثقل النص ورهانه الذي وفّى؛ فأغنى...

وفّى تعبيراً، وكفّى وصفاً مختصراً لنهاية صارت حقيقة بعد أن رفضها العقل وتعامل معها كخيال...

النصّ -برأيي المتواضع-حقق ما يسمى الصدمة الشعرية لما احتواه من مؤثرات تحاكي ما في نفس المتلقي وكلّ حسب واقعه...

النص تضمن اللفظ المتّقد الذي منحه التألق...

وحدة موضوع النص، ووحدة صياغته جعلت من فكرته جذوة قبس يشع نوراً منطلقاً من مركز الفكرة باتجاه محيطات دوائر تشكل ملامح الإشراق فيه ولكل جملة حسب مستواها وما تتطلبه من درجة اتقاد وشدة وتيرة لتصف وتغني

وبذا حقّقَ النص التوهج الذي يجعل المتلقّي مشدوداً لمتابعة القراءة والتوغل بين آفاقه...

أما الرمزية فيه فكانت بعيدة عن الإيغال في الغموض ولم يغرقها تركيب الألفاظ مع بعضها في بحر (التلغيز) غير المحبّب لدى عامة القرّاء؛ كون الكاتبة استخدمت المفردات بذكاء ووظفتها لتكون جملاً مُنتِجة... وهي بذلك حققت مقولة (أن الشاعر مخترع لغة).

هذه قراءتي المتواضعة للنص.

تحية وتقدير لك أيتها الأخت الكريمة حضرة الأستاذة "هبة ماردين" على ما تكرمت به...

أسأل الله (سبحانه وتعالى) أن يحفظك وعائلتك الكريمة، ويرعاكم برعايته.

دمتِ بخير، ودام تألقكِ.

بقلم الفنان التشكيلي والكاتب

المهندس الرحال \العراق

*****

أحـــــمــــــد

أَبْكِيكَ أخي بصَمْتٍ حالكٍ...

والْقَلْبُ يَجْهَشْ

وَصَرْخَةٌ بَينَ ضلُوعِي...

تُنَادِيكَ أحمدْ

الشَّوقُ يغْتَالُ نَضْرَتِي يَا حَبِيبِـــي

وَفِي الْفُؤَادِ يَسْكُنُ فَرَاغٌ أَسْوَدْ...

أَضْرَمُوا الْوَجْدَ فِي مُهْجَتِي

فَكَيفَ أَرَانِي مِنْ بَعْدِكَ أهنأ ...؟!

طَوَاكَ الرَّدَى يا مُدَلَّلِي ...

ومُدَلِّلِي ...!!

مَا خِلْتُنِي سأَبْعَدُ يَوماً عَنْكَ...

وَذِكْرَيَاتُنَا تَصْدَعُ فِكْرِي

وصورٌ أَرنو إليها ...

وسهادٌ يلتهم جفنيَّ...

وَصَوتُ أُمِّي يَشُقُ أُخدُودًا فِي مَسْمَعِي

تَنُوحُ: أحْمَدُ ... أَحْمَدْ...

يَا بَاسِقَ الطُّولِ...

يَا جَمِيلَ الْمُحَيَّا

يا مُخْلِصاً لله ...

أيُّها الْمُؤْمِنُ الْمُتَعَبِدُ...

قَدْ نِلْتَ أَعْلَى مَرْتَبَة كَمَا تَمَنَّيت

وَمَنْ مِنْكَ في الْحَيَاةِ أَزْهَدْ ؟!

يَكْفِينا فَخْراً أَنَّكَ نِلْتَ الشَّهَادَةَ

وَأَنَّكَ فِي الْفِرْدَوسِ الْأَعْلَى

أَشْبَاهُ الرِّجَالِ...

لَمْ تنَل مِنْ رُجولَتِكَ

إنما غدرهُم كانَ أشدْ

الْمَرْءُ لَا يَتْرُكُ بَعْدَهُ سِوَى عَمَلِهِ

وَأَنْتَ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَمْجَدْ...

اِرْقُدْ قَرِيرَ الْعَينِ تَحْتَ الثَّرَى...

فطِبْ نِعْمَ الرُّقُودُ...

وَنِعْمَ المرقدْ

2016\1\27

" يوم استشهاد أخي أحمد ماردين "

****

أشتاقك والشوق يضنيني

جمعتنا تحتَ جناحيكَ عمراً

رحلنا عنك وبقيتَ وحدكَ ...

كبشَ الفدا...!!

وعدتنا أن نعودَ ونلتقيكَ...

وقلتَ مراراً...

ألقاكمْ في الجنة

آه يا مهجة الروح ...

آه يا مهجتي...

من مَرارِ غيابك...

قلبي انفطر...!!

سألتُك بالله لا تغبْ عن هالتي

فأنا أستمدُ منك القوة

أشتاقك أخي ...

والشوق يأكلُ ما تبقى من وجودي

أشتاقك والشوق يضنيني

****

أنا العربيُّ

أنا العربيُّ...

الذي صُلِبَ منذ آلاف السنين....

ولم يرحمْ ظهره رمحٌ ولا سيفْ

أنا ذاكَ الطيبُ حدِ السذاجة

أنا ذاكَ الصادقُ حتى الحماقة...

أنا ذاك الظَهرُ المنحني ...

لكلِّ أحمالِ الهموم

أنا العربيُّ وهذا لقبي...

مغفلٌ ...

معتوهٌ...

مثقلٌ بالتعبِ ...!!

أنا العربيُّ الذي علّمتُ أبناء الغرب...

كيف يهتدون بالنجوم...

وكيف يرسمون الأرقام على الرقيم

وكيف يأكلون ويشربون

أنا العربيُّ الذي علّمتُ هؤلاء المسوخِ

كيف يبنون القصور...

وكيف يجلسون فوق العرشِ الذي...

يتنكرُ منهم

أنا العربيُّ وهذا لقبي

يسخرون مني ...

وبأموالهم البالية عقول أبنائنا يشترون

أنا العربيُّ الذي لطالما صَدَّقَ الدجلْ

وجابَ الأرض شرقاً وغرباً ...

بلا وجلْ...!!

ووثِق بالذئاب الضاحكة بلا خجلْ

أنا العربيُّ الذي سَخِرَ مني ذلك الغربي...

وسرقَ حضاراتي...

وعلمي...

وكلّ كلماتي...

ولذاتِهِ العفنةِ نسبها

وهدمَ كلَّ صرحٍ بنتهُ سواعدُ أبنائي

أنا العالِمُ والفيلسوفُ والطبيبُ

وأفضل أمةٍ بُعِثَ إليها نبيّ...!!

أنا العربيُّ...

وذاك المتلعثمُ بحروفه ...

يطغى ويسفكُ دماءَ أبناءِ بلدي

بلا رحمةٍ...

بلا حقٍ...

بلا سببِ...!!

أنا العربيُّ الثائرُ في وجه الباطل

هكذا كان أجدادي...

وهذا ما رباني عليه أبي

فلا تفرح أيُّها الطاغي الجَموحُ ...

بما تكسب من إراقة دمي

فأنا العربيُّ ابن العربيّ...

المخلّد في الجنان ...

وأنتَ في الويل المستعر ...

ستنصهرْ...

أنا العربيُّ...

وأنت ذاك المسخُ الغبي

****

أيناكَ يا وطني...؟!

في جُعبتي كَمٌ من التعبْ

وكمٌ من الأنين...

وفي فؤادي يزداد اللهبْ...

ويكويني الحنين

وآه من ذاك الحنين حين يغتال الضلوع

ويعصفُ بالوريد

غريبةُ الروحِ أنا....

غريبةٌ عن روحي...

عن نصفِ روحي...

عن كمالِ روحي...

يقتلني الكتمانُ... يقتلني بوحي

في داخلي بركانٌ ثائرٌ...

يصهرُ ما تبقى من ذاتي

يبعثرُ شتاتي...

يهدمُ كلَّ صرح بنته سواعدُ أحلامي

وفي عقلي إعصارٌ ...

يدوّي في خلايا دماغي

وأدورُ حول نفسي كالرحى...

ولا أدري ما بيّ

وحنيني يُنَفِذُ حُكمَ الإعدامِ بي!!

يُعلّقُ حبلَ مشنقتي ...

ويُسْقِطُ مقصلته فوق عنقي...

ويصلبني ...

ويدق مساميره في أجزاء جسدي

تباً لهذا الحكم المتنوع في قتلي...

المتفنن في عذابي

أيناكَ يا وطني...

أيناكِ يا كرامتي...

أيناكِ يا داري التي ضمت كل أسراري

ضحكتْ بفرحي...

وبكت بحزني...

وعانقت كل أفكاري

أيناكِ يا شجرة النارنج العابقة...

وسط فسحة داري

أيناكَ يا أبي....

يا رفيق مشواري...

أيناكَ يا أخي...

يا سُكني... وسَندي

وخليل أشعاري

أين أنا وأين تراب وطني

أتوق لحفنةٍ عَطِرة

أتوق لقطةِ أبي...

أتوق لسربِ السنونو المحلّق ...

في سماء مدينتي

وذاك الشفق المكلّل بالعزِّ...

وتلك الليالي المفعمة بالأمان

أيناك يا وطني...؟؟

في جعبتي كمٌ من الهَمِّ ...

وكمٌ من الأناتِ ...

وكثيرٌ من التعبْ...!!

وفي روحي حربٌ لا تنتهي

وجبابرة تحطم أطلالَ ذاكرتي

أيناكَ يا وطني...

أين أنا مني...؟!

أين ذاتي...أين مرآتي

في غربتي أشتعلُ كلَّ يوم ...

وأنطفئ...

ولا أحد يعرف طعم معاناتي

في غربتي أغربل الندم...

وأنقِبُ عن ذكرى تشفي علّة فؤادي

في غربتي وحشٌ يغتال سكينتي

يغتصبُ ربيع عمري

يغرزُ مخالبه في عنقي

أيناكَ يا وطني...

أين أنا مني...؟!

أين بقايا ذاتي

****

ويحدثُ أنْ

ويحدثُ أنْ...

وقد حدث...

أني فقدتُ جميع المشاعر فجأة...

لا الحزن باتَ يكويني...

ولا الفرح يشفي أنيني...

حتى الشفاه نسيتْ كيف تبتسم

وتلك المآقي شُحَتْ مجاريها...!!

حتى النبض بات مختل النغم!!

يعزفُ بلا وتر...

ويئنُ بلا خبر...

تلك الليالي الحالكاتِ كم دفنتْ...

في فؤادها جحيم الواقع

وباتتْ تستعرُ الروح في جللْ...

وتستعرُ...وتستعرُ...

بلا كللْ...

بلا دخانٍ ... بلا أملْ...

هذه هي الحياة وسُوطها ...

يهوي على عنق الحَمامِ

المحلّق في الأفق...!!

يصرعه أرضاً

تحت سابعها

يطويه بلا كفن...!!

حتى الملقن ملعثم الحروف...

مغشى العقل ...

مغيب الذاكرة

ويحدثُ أنْ...

وقد حدث ...

أنّي أعيشُ بلامبالاةٍ ...

بلا حياةٍ...

بلا أملْ!!

والروحُ تواقةٌ للسفر...

للسفرِ الأخيرِ المستقِرْ

والدقائق تدور كما الرحى

لا تدري متى...

ينطفئ العمر

****

سألني البحر

ويسألني البحرُ...

أين نصفُ قلبكِ؟؟

وبريقُ وجهكِ...

وصلابةُ ظهركِ ؟؟

ثُمَ يرنو إلى الشاهدةِ ...

ويزبُد!!

وأرمي في ثناياه

أنيناً كان يُحرقني

كشمعةٍ بكماءٍ

ويتخبطُ من ألمي

ومن أناتهِ أتخبطْ

كما البحرُ...

.. قلبي ..

يموجُ ... يموجُ

ولا يتعبْ...!!

سألني يوماً عن حبي

فرُحتُ أقلّبُ أمواجه

بوجهي باسماً غنى

أنا وأنتِ...

والعاشق ...!!

نقلِّب دُرَّ أعماقي

ونكشفُ كلّ أسراره

وضعتُ يدي على قلبي

بصمتٍ...

عانقَ أمواجَه...

وبدأتُ أخاطرُ المحبوب

في همسٍ...

وما إنْ تَباعدَتْ هُدبي

رماني البحر بالمدِّ

أشعلَ وجدي الدافقه

فقلتُ يا بحر: ها أنتَ

كقلبي بالعشقِ عابق

****

دمعةٌ حَرَّة

في القلبِ خفقانٌ

غريبُ الشجنْ...!!

وأشباحٌ تطوّقُ عنقَ حلمي

ودمعٌ أسودْ

وحقدٌ دفينٌ يشوبه الثأر ...

لعزيزٍ على قلبي من شراييني انجزعْ

ولغاتٌ لا أفهم تراتيلها...

تصمُ مسمعي

وتَنْهمُ من سكينتي !!

وذكرياتٌ تقلبني على جمر...

وكأنَّ كل ما كان خيال

في العين دمعةٌ حَرَّة

تكوي الجفونْ...

والروحُ تائهةٌ سكرى ...

تعانقُ الجنونْ

وخضابٌ باردٌ عجوزٌ...!!

وصوتُ أمي الثكلى ...

يطاردُ هدأتي ...

يصرعُ قواي !!

في الروح صرخةٌ ...

تتَمخَّضْ ... !!

تُقطِّعُ من عمري ...

كلَّ الأوصال

وفي كلِّ ليلةٍ حلمٍ عليلٌ

يئنُ ... يئنُ...

يتكورُ داخلَ حزني

يرسم دوائر يملؤها ...

الدخان

وظهريَ المصلوبِ على جذعِ الوجع

يتماسكُ جَوْراً

لا دلالْ ...!!

يؤلمني موجُ ذاكرتي

وصخوري باتتْ تتحطم

يؤلمني نحيبك يا أمي

وبصمتي أكادُ أتكسر ...

كصنمٍ فوقَ فوهةٍ ...

نفثَتْ حممها في حشايَ فتحجرْ

تلتفتُ روحي إلى الظلِّ

ترنو ...ويرنو...

ولا يلتقيان...!!

في وجدي رعشةُ مشنوقٍ ...

يزفرُ أنفاسه الخرساء

وعنقي موثوقةٌ في وجعي

بلا حبالْ!!

في العين دمعةٌ حَرَّة

يحارُ داخلها السؤالْ

وهديرُ قلبي ...

يرسلُ الشوقَ إلى أخٍ ...

لقياه باتتْ محالْ

****

الرحمة

يا أيُّها الساكنُ في العلا...

هَبني من مكانكَ

..عتبة ..

ومن خبزك المتناثر على الأرض

.. كسرة ..

ومن طعامك المرمي ...

في أكياس القمامة

.. لقمة..

هبني من ضحكاتك ...

.. بسمة ..

ومن أثوابك العابقة بالغبار

..قطعة ..

أنا لا أريد منك الكلَّ

إنما بِضْعَه...!!

فهل أرى في قلبك

شيئاً من شيءٍ خلقه الله

يُدعى الرحمة ؟!

****

أَلِسنْ في المنفى

نسيتُ صَوتي ...

ونسيتُ كيفَ تكونُ الخُطى ...!!

كنتُ وكانتْ أحلاميَ ملونةً

وسرعانَ ما انقلبَتْ كوابيساً...

وحِبالاً تَلتفُ حَولَ عُنقي

تَلتهمُ أبجديتي

غادرتُكَ يا وطني

مرغمةً...

وما نَفيتَني ...!!

لكنَّكَ لفَظْتَني جَوّراً ...

كما لفظتَ سوايَ

زفرتَ أنفاسكَ ضيقاً...

رُغمَ سِعةِ صدرِكَ...!!

تَزلزَلَ هَيكلُكَ يا وطني

وتشققتْ كلُّ المسام فيكَ

فَقَؤوا عينيكَ لكنَّهم....

لنْ يفقؤوا منكَ البصيرة

عَبرَ بوابةِ الزمنِ دَخلتُ...

وظَننتُ أنَّها نَجاتي

ورَسمتُ أملاً نصبَ عينيَّ

ظناً بأنَّني في بلادِ العجائبْ

لكنَّني...

وفي أولى خُطواتي

تَعثرتُ...

وتَدحرجتُ ...

داخلَ كرةٍ مِن الشوكِ

تَجرحُني كيفما تَلفّتُ...!!

تقطعتْ أوتاري...

تبعثرتْ ألحاني...

تناثرتْ حُروفي...

في كلِّ حَرفٍ غصةٌ

تحكي ألفَ قصة

وهَيهاتَ أنْ تُجْمعَ حُروفي

****

الزوبعة

ليس كأمي أعلم...

وهي بما أخفي أعلمْ

وليس كأبي أرحم...

وهو عليَّ من نفسي أرحمْ

وليس كأخي سند...

ولا يغنيني عنه مالٌ ولا ولدْ

وليس كأختي ستراً...

وهي لمكنونات قلبي سراً

وليس كقلب حبيبي مأوى...

ولا كحُجرهِ دفئاً ومثوى

وليس لي من ضيق فرجاً...

إلا إذا جعل الله لي منه مخرجاً

شتتَ اللّٰه شمل من فرقنا..

كزوبعةٍ فجائيةٍ هاجمنا..

وجعلنا كالغبار نُنْثَرَ

****

أيّها البحر

أيّها البحر...

خُذ جرحي وقلّبه بين أمواجكَ

وازفره زبداً فوق الساحل

علَّ الملح يكويه...

والشمس تجفف ما فيه

وعلَّ النوارس تلقف ...

المواقف التي فيه

يا أيّها البحر...

إنّي أضعُ سري في قعركَ

وأدركُ أنّك لن تفصحَ به

لكنّي أرجو من سموك

حين يتنفسُ الصبح ...

أن تزفرَ زفرةً باسمي...

زفرة تحمل وجعي

وتنثرها في أصيصِ الشروق

علَّه يرشفُ ريحَهُ

ويقطرُ نداهُ ...

فوقَ قبرِ حبيبي

فأخي الغافي تحت الثرى...

قد أرسلتْ روحه

ذبذباتٍ عطشى ...

لروحي

****

أيُّها العربيٌّ

أيُّها العربيُّ

كيف آمنُ غدركَ ...

وأنت باسم الحب

تغتالُ قلبي!!

وباسمِ الدين ...

تهتكُ عرضي!!

وباسمِ الأخوة....

تطعنُ ظهري!!

وباسم الصداقة ....

تسخرُ مني!!

كيف أصدق تلك الابتسامة...

المرسومة في وجهك

لا أدري أهي لي أم عليّ...؟؟

وذئبكَ القابع داخلك....

يقتنصُ الوقت...

لنحري

لينالَ من جبروتي...

ويحطم آمالي

ويكسرُ عصاً أتكئُ عليها...

وقتَ ضعفي...!!

كيف آمنُ غدرك أيّها الشرقي

المتبرئ من كلّ خطاياكَ

وملقيها على كتفي

وكأنَّك منزهٌ...

مخلوقٌ من نور

وأنا الطينيةُ...

الملطخةُ بالإغواء!!

إن كنتَ باسم كلّ ما ذكرته....

قاتلي...

فكيف أستندُ عليك...

حين تطوف حولي الضباعْ

وتنهشني السباعْ....

ويكثر من حولي النباحْ؟؟!!

****

تحية حلم

يا حلمي القابعُ في حِجْرِي

انطلقْ للفضاء

وافردْ جناحيك وحلّق...

حلّق...

حلّق ...

حتى السماء السابعة

وألقِ التحية على من ارتقى ...

وقل له: أنا ذاك الحلم الذي...

ما تجرأ يوماً أن يتحقق

أُقرئكَ السلام من نصفك التائه

في دنيا الفناء...

وأقول لك: هنيئاً لك دار البقاء

هنيئاً لك حققت حلمك

والتقيتَ بحبيبك الذي اصطفاك.

****

تقادم نزفي

وما زلتُ أتأملُ شمسَ الحلمِ...

ودمعتي قابعةٌ في المآقي...

تتكبرُ ... تتجبرُ ...

تأبى الهطول فوق جداول خدي

وما زلتُ أنعي جثمانَ روحي

وأنوحُ على بوحي

والحياة تجلد ظهري...

بلا كللٍ...

وحكمي المؤبد لم ينهِه...

تقادم نزفي

وما زلت أرقُبُ ذاك الوميضِ

المنبعثِ من بعيد المدى

وما زلتُ أسطّرُ أنينَ البوحِ

وخليلةُ الروحِ

تواسي نَزَقي...

تلملمُ شتاتَ أفكاري...

تهدئُ من رَوعِ الأنينْ

وما زلتُ أرنو السماءَ وما علاها

وأرقُبُ الأرضَ وما تلاها

وأتوسلُ إلى الذي سواها...

وأتضرعُ عند التجلي الأعظم

وأقولُ يا روحُ اسكني...

ويا قلبُ نمْ قريرَ العينِ

فآخر مخاوفكَ قدْ تحققتْ

والأمنيات صعدتْ إلى باريها

وكل الأحلام وضعتُها في مثواها

تواسيني

تواسيني بأحزاني ...

بجرحٍ مازالَ يكويها

تصبرني على وجعٍ ...

يشتعلُ في شرايينها

وتقولُ: يا ابنتي

كفي عن الحزن ...

والحزن ذاته يفني كلّ ما فيها

أماه ...ماذا تقولين ؟؟

وأنا أرى في عينيك حمماً تتدافع

تواسيني أم أواسيها...!!!

والجرح واحد يتقاسمنا

تواسيني وأواسيها

ونرحل كلتينا لصومعة ...

نصرخ ...ونصرخ

ونجمع كل دموعنا فيها

ونعود لمجلس واحد ...

نجفف دمع قلبينا

ونذكر شهيدنا الغالي...

بتلاوة تخفف من مآسينا

الصبر ملاذنا يا أمي

لكنَّ الصبر من أين يأتينا؟!

****

جِرَاحُ الحَمامْ

جُرِحَ الحَمامُ في أزقَتِكَ يا وطني ...

واضْمَحَلّتْ الآمالْ

فمَنْ يُداوي جِراحَ الحَمامْ...؟؟!!

أسَفي على زمنٍ ....

بَكَتْ فيهِ عيونُ الرِجالْ ...!!

وثورةٌ انتَهَكَتْ حُرمةَ الأديانْ

أحجارُ شطرنجٍ بيدِ شيطانٍ

وفتنةٌ غافيةٌ ...

أيقَظتْها نفوسٌ ملعونة

حارَتْ دُموعي...

ماذا تبكي ....

أَأبكي يُتْمي ...؟؟

أمْ أبكي نُزوحي ...

أمْ فِراقَ أحبتي ...؟؟؟

أبكي داريَ التي خَلتْ مِنْ الأصداءْ

وباتَتْ ملجأً لصوصٍ ...

تنَهمُ ذكرياتنا

وتنقشُ الحزنَ على الجدرانْ

لَمْلَمْتُ أحزاني وكلَّ الذكراتْ

في حقيبةِ سَفري

لتُبعِدَ عني وحشةَ غربتي

وتَركتُ نقوشاً نَقشتْها يدُ حبيبي

على جدرانِ داريَ المُقفَرة ...!!!

وحُبّاً عتيقاً غافياً بينَ ضلوعِ

.. غرفتي الشاحبة..

ها أنا الآنَ في غُربتي ...

أكتبُ بقلمٍ خالٍ من المِدادْ

أروي قصةَ وجَعي ....

ووجعَ وطني المهددِ بالانهيارْ

أرويها لأشجارٍ لاتعرفُ إلا...

تسبيح الله !!

****

جلسات فخر

ما زلتُ أخبرهم...

عنكَ

ومازالوا يحبونك...

كحبي لك

ويقرؤنك في أحاديثي

ويقدمون كلّ فرائض

الإعجاب بك

ما زلتُ كما برحتني

أباهي بكْ

وأنثر أعذب الحروف عنكْ

قد كنتُ أنثرها بابتسامة

والآن بالدمع أشدوها

مرفوعة الرأس...

بمقامك الذي اعتليت

يا شهيد قلبي

ويا فخر أيامي

أزدادُ حباً...

كلما عنك تحدثت

****

حكاية وطن

من قطرة الندى ..

من بسمةِ صبية قد أشرقَ جبينها

من نسمة صيفٍ

أطلَّ وطن ...!

من دمعة أمٍّ قدمتْ وليدها

زهرةً حمراءَ

أسقطتْ أوراقَها رصاصة

من كحل عروسٍ لطخَ الحزنُ ثوبها

من دمعة السماء

أطلَّ وطنْ ...!

من دوي القنابل

وصرخة الحناجر

وصهيل الخيل

انبثقَ وطن ...!

من نبع الشهامة

ودمع اليتامى

وصرخة سهل نُقِعَ بالدماء

تدفق وطن ...!

من شمعة عاشقٍ كحّلَ الليل مقلتيه

من سراج فلاحٍ زرعَ الحُبَّ

.. بيديه ..

من شُعلةِ مقاتلٍ

أبصر النصر بعينيه

أشرق وطن ...!

من أنين الناي

وترنيمة العود

ورقصة الأوتار

لحن وطن ...!

من عرائش الياسمين

وأشجار الصنوبر

من براعم الفلِّ والشقائق

والريحان

اخضوضر وطن ...!

من قلبي وقلبك

بصوتي .. بصوتكَ

بأمانةٍ نقصُ

حكاية وطن

****

حلب يا وجعي

حلب يا وجعي...

ودمع الحنين يكويني

حلب يا نبضي ...

لا شيء سواك يغريني

لي في الشهباء ذكريات ...

تؤجج ولهي ...

وولعي ...

ولي فيها ناس ...

ذكراهم تضني فؤادي

أقرؤكِ كتاباً بلا صفحات

أبوابُ حزنٍ وفصولُ وجع

والفهرس يضم داخله

أكبر عناوين الألم

وسطورك تنزف القاني

بين الحروف المتعبة ...

اقرأ دموع الثكالى

اعتزلتُ القراءة ...

يكفيني تصفحكِ يا بلداً

قد باتت رواية مشهورة

داخلها نفوس مهجورة

لا سامع يلبي نداءها

ولا مبصر يرى حقيقة الصورة

في القاع قوارضٌ يا ولدي

تجتثُ فلذاتِ الكبدِ

وتحطم أرضاً طاهرة

تقتل أجيالاً في المهدِ

فمتى يأتي صاحبُ المزمار...

ونطبق دفتيّ حلب

على أملٍ ...

على وطنٍ...

يلملمُ جراحه منهمكاً

نعمّر بيتنا الخاوي

من الأرواح المتقدة

ونرفع علم عزتنا

هذا إن بقي منا أحداً.

****

حلب

أرى الخيلَ في أعماقها تبكي حلب ...

تبكي الرجولة والزمن الذي معها ذهب

في وقع حوافرها كانت....

تقرع أجراس النصر

استبدلوها بحديدٍ صدئٍ ...

يخرج اللهب

ماتَتْ كلُّ الرجال مُذْ هجروا ...

صهوة الخيلِ ...

فلا عجب...

إذ ترى طفلاً أغر يقتلُ باسلاً !!

أو مجموعة من اليافعين دمروا حلب

حلّق يا حلمي

حلّق يا حلمي ...

فوق بحر دموعي

وخذ في جعبتك ...

كل جروحي

حلّق قبل أن يتنفسَ الصبح

قبل أن تؤرقك أنَّاتي

حلّق يا حلمي ...

إلى وطني

إلى دارٍ لمّت شتاتي

حلّق لتحط على شجرٍ

كم خبأ بوح حكاياتي

حُط على النارنج المصفّر

وأخبره ...

أني ما زلتُ أعشقه ...

أخبر الغاردينيا ...

عن ولهي الغافي بين الضلوع

عن غربتي ...

عن ذاتي ...

حلّق يا حلمي ولا ترجع

فأنا راحلة عن ذاتي

****

زغرودةٌ ثكلى

حَضروا إليَّ بالكفنِ...

وقالوا: زغردي

هذا العريس فألبيسه الأبيضَ

وزُفيهِ إلى السماءِ ...

وهلّلي ...

وأمامَ مسراهُ ارقُصي وتمايلي...

لا تندبيهِ ...

في يومِ فرحهِ

هُزي عليه القرنفلَ الأصفرْ

وتساقطي فوقَ نعشه...

ياسمينة عابقة بالحب

هو شهيدُ قلبك ...

والحفلُ حفلك...

وتلكَ الجموعُ تنتظركِ

زغردي ...زغردي

إنه المؤمنُ إلى السماءِ مسافرٌ

لا تقنطي ...

أمسكتُ بالثوبِ الأبيضِ بحرقةٍ

وزغردتُ بملءِ حنجرتي...

أواه .... يا حرقة كبدي

يا نصفي المسلوبِ مني...

يا عزيزَ قلبي...

يا مُهجتي

زغردتُ... وزغردتُ

وصَمَمْتُ أرجاءَ الصدى

حتى الصدى...

خجلَ أنْ يردَ زغرودتي

أنا أختُ الشهيدِ وكلّي مفخرة

وهذه الثكلى كانت...

زغرودتي الأخيرة

****

زمن الحرية

في زمن الحرية ...

لفظتنا بيوتنا...

زفرتنا أزقتنا...

ضاق بنا صدر الوطن !!

....

في زمن الحرية...

كُبلَتْ أعناقنا...

سُبيَتْ نساؤنا...

انتُهِكَتْ حرماتنا...

جار علينا الزمن

....

في زمن الحرية...

بات للجوع بيننا ركن أصيل

بات البرد بيننا فرداً خليل

في زمن الحرية...

حُطِمَتْ أقلامَنا ...

حُقِرَتْ أعلامَنا...

وباتَ الجهلُ هو البديل

....

في زمن الحرية ...

بات لطعم الحجارة نكهة الشبع

تلوّن خبزنا بآهات الوجع

في زمن الحرية...

تبدلت فصولنا...

تجردت حقولنا...

تشردت سهولنا...

....

في زمن الحرية...

بات كل محّرم مباحاً !!

وباتت قطرات الدم ندى الصباح

وفي زمن الحرية...

في زمن الحرية...

ما أجمل زمن القيود !!

****

ضحية

طعنوا أمي بغدرهم

فتلون خضابي

ما عدتُ أدري مَنْ أنا...!!!

ومن أيّ صُلبٍ أستجدي

شبابي ؟!

هذه الحرب الضروس...

لم تترك أيّ أمل

يقف ببابي

وبقيت محروم النسب

لا أملك أباً ولا أخاً

ولا أعرف من ستكون أم أولادي

أتُراها أختي الملونة مثلي ...

أم هي نطفة ملطخة بالعار...

كلعنتي؟!

ملعون أنا دون ذنبٍ

وهيكلي تكسوه

أردأ الثياب

"عن اللقطاء في سوريا أثناء الحرب "

****

عشقي الأبدي

يوم ولدتُ...

خفقَ فؤادُ أبي ...

وتراقصت عيناه دمعاً أبيضَ...

يوم ولدتُ ...

رسم التفاؤل في محياه...

وأسماني هبة الله ...

متأملاً في الدنيا خيراً قادماً

هذا أبي...

هذا أبي الذي شابَ لأشُبَّ...

وأرهق النبض لينبض قلبي

يوم فهمت معنى الدنيا...

تربعتُ في حضن أبي

ولعبتُ في وجنتي أبي

وغزلتُ من همسه الندي...

مرحي...

وحين عشقت ...

عشقت أبي...

هذا العشق المخملي الطاهر أبي!!

خبأني في شرنقة الثقة ...

إلى أن نَمتْ جناحاي ...

وما خذلتُ يوماً أبي...

يوم كبرت بكى أبي...

يوم نجحت بكى أبي...

يوم لمع اسمي بكى أبي...

ومن دموعه الحَرّة لملمتُ ذاتي...

وحلّقتُ في السماء التي يحبها أبي

الوفاء والولاء والصدق...

هذا منهج أبي...

والصمت والصبر الجميل ...

مفاتيح أبي...

هذا أبي ...

وهذا عشقي الأبدي

وعلى ضريحه الطاهر أقسمتُ...

ألا أفرحَ من بعدك يا أبي...

وألا ألبسَ الأبيضَ الذي تمينتَهُ لي...

وألا أغزل السعادة في دمي

وما فرحت ... وما ضحكت...

وقصصتُ جناحيَّ بيديَّ...

ودفنتُ عمري المزهر ...

تحت ثراك يا أبي...

غربة الروح

القلب ينضح بالدمع المستعر

والعين قاحلة

والروح تائهة في غياهب الضياع

والوجه مبتسم

وهيكلي المصلوب على....

دفتيّ حلم

يرنو إلى الأفق البعيد

المتنظر

لا صديق يعاضد وحشتي

في غربتي

ولا خلٍّ أناجيه وقت السحر

فستان زفافي

فستان زفافي المرصع باللؤلؤ ...

ووشاحي المنقوش بالياسمين

وتلك العربة ...

يجرها حصانان أشهبان

والقناديل الملونة

والسجاد المخملي

والطير الأبيض...

يهز بخلخاله بين كفيَّ

كل أحلامي تلك

كانت تسكن مخيلتي

دفنتها بين دفتي...

" الحرب "

في قلبي تنشطر الغصة

ألم ودموع تتفرق

ونواح أبكم

أبكي سورية المغدورة

أم القدس أم البلاد

في قلبي تنشطر الغصة

وتضيع حقائق القصة

بين أديان وطوائف

وألوان

من طين خُلِقَ أبناؤك

يا وطني الجريح

وتعالت نفوسهم اختيالاً

وعنفواناً...

وموطن الأنبياء ثكلى

تأن بتر أطرافها

وسورية تصمد نازفة

والخنجر يصول ويجول

في خاصرتها

ودموعي أنا العربيُّ...

لا تدري أي الجداول تسير

أعروبتي أبكي ؟؟

وخيانة إخوتي

أم أبكي الأقصى الجريح

في قلبي تنشطر الغصة

وحنجرتي مخنوقة بالنداء

****

في موطني

في موطني ...

في شدة فقري كنت غنية ...

وفي شدة ضعفي قوية ...!!

في موطني...

كان صهيلي يصم الأصداء

وعرشي الصغير...

كان يملأ الأرجاء..!!

في موطني...

كان سجادي مروج

وطريقي مزيناً بأجمل الوعود

في موطني...

كان سراجي نجوماً...!!

وسهري مطمئناً مهما تعالت الهموم

في موطني ...

كنت بلقيس...

وزنوبيا....

كنت حواء أعظم الملكات

****

بكلٍّ اعتزاز

قالتْ للنهار: اطلعْ

فأنا مازلتُ صبية ...!

جبيني مازال مورقاً

ووجنتاي أنبتتا وروداً جوريّة

قالت...

قالت لليل: لا تغضب

واذهب بأحزاني إلى ...

جزر منسية

فقد أبصرتُ نوراً قادماً

من صهلة خيل عربية

قالت للنرجس: لا تشمخ

طأطئ أمامي

فقد رسمتُ المجدَ بأهدابٍ ليلكيّة

أنا أمُّ الأبطال

والشهداء

أنا عروس المجد

وبكل اعتزاز أنــــــــا

ســــــــــــــــــــوريــــــــة

****

قطعة جليد

حياة باتت...

كقطعة جليد تصدعت...

خطوط متقطعة...

فقاعات...

وانعكاسات ملونة...

برود صامت يجتاحني

ولا أعلم متى العاصفة!!

مصيرٌ يدور داخل زوبعة...

وحلمٌ يغرق !!

حروفٌ لانقاط لها...

وسطورُ وهمٍ تكتب وعوداً

وسرابٌ يداهم راحتي ...

يرهقني ...!!

من الندم هاربة...

ألف ميل...

وأعود أدراجي على قدر

أسميه اليقين

حياة باتت...

كقطعة جليد متصدعة

تنتظر الثواني...

لتنكسر

****

حلبية

حلبية أنا ...

والغار إكليلي

وصبية تمرح بين أعمدة الآثار

وألوح من أعلى القلعة ...

للشمس ...

فتقبل جبيني

حلبية أنا....

أتأرجح بين الأغصان...

وأتبختر في أزقة مدينتي

طاووساً ...

والنصر يقيني

حلبية أنا ...

بكل فصولي ...

بمعتقدي ...

وطائفتي ..

وديني

حلبية أنا ....

وإن اتهموني ...

نرجسية ...

خيالية ...

كلّ هذا لايعنيني !!

حلبية أتحدى المستحيل

بإرادتي ...

وعزمي ...

ويقيني...

مهما تلقفتني الأحضان نفاقاً

لا حضن كما حلب يحميني

حلبية أنا ....

بملء فيَّ أغنيها...

ولا شيء سوى رؤياها

يحييني

****

كعادتي

ها أنا كعادتي...

أعاني بصمت

أقلّب أوجاعي داخلي ...

بصمت

وأدور حول وجعي ...

رحىً تأبى الوقوف

ها أنا كعادتي ...

يلطم أضلعي صدى الأنين

وتمزق أجزائي...

صرخات بكماء...!!

وكعادتي ...

لا عزاء لدي سوى البكاء

كلما مرَّ طيفك

كلما مرَّ طيفكَ بنا

اتقدَتْ نيران قلوبنا

فقدُك يا أحمد يُضنينا ...

والدنيا تعصفُ بأمانينا

في دمعنا سعيرٌ يحرقنا

ولا شيء سوى رؤياك يشفينا

حرمتنا الغربة وداعك ...

حرمتنا تقبيل جبينك

حرمتنا أن نبكيك يا عمري

مزقت كلّ الأجزاء فينا

والروح تظل هائمة ...

تبحث عن خيط حلم ...

يصلنا بك ...

يهدئ روع حزننا

ويمحو كل ما فينا

رحلتَ ولم تودعنا ...

وتركتَ الأسئلة تضنينا

وإجاباتٍ نركض وراءها ...

تجرر أذيالها ...

تجافينا

لا الدمع يشفي غليلنا ...

ولا النواح....

ولا اللطم بأيادينا

لا شيء يطفئ حرقتنا

ما دمت غائباً...

لكنَّ ثأرك في الفؤاد يتأجج...

وغريمنا مجهول ...

بين الضباع المتخفية بهيئة إنسان

شكوناه للواحد القهار

الذي يعرف كل مآسينا

****

نمْ صغيري

نَمْ صغيري ...

فإنّ حضني تمزّقْ

نَمْ صغيري ....

فإنّ ضلوعي تحطّمتْ

نَمْ صغيري ...

على رمالِ الغربةْ...

فهيكلي تبعثرْ

وأشلائي تتراقصُ ألماً مع الريح

نَمْ صغيري ...

فَمِنْ بعدكَ ما عادَ شيءٌ يُبكيني...!!

قد كنتُ أمّاً لكلِّ مغتربٍ سقيم

وجمعتُ في حِجري الكثيرَ...

الكثيرْ ...

لكنَّ ربّي شاءَ امتحاني ...

فيمن ظننتُهم إخوتي

نَمْ صغيري ...

في فردوسِكَ الطاهرِ

ولا تعبثْ في جمر جحيمي

أنا سورية الثكلى ...

حارتْ دموعي...

على مَنْ أبكي؟!

ولمن أرسل حنيني؟!

أدمشق المبتورة الأطراف أبكي؟

أَمْ ممزّقةَ الأحشاءِ حلب؟!!

أم أبكي الفراتَ الطاهرَ...

والعاصي ...

أم أنثرُ ترابَ تدمرَ ...

على رأسي؟!

نَمْ صغيري ....

نَمْ قريرَ العين ...

فأنت شهادتي في محكمةِ اللهِ...

الذي لا يضيعُ عنده حق

2016

" عن الأطفال الغارقين أثناء الهجرة "

****

لستُ أنا

هائمةٌ روحي في ملكوتِ الحيرة

والضياعُ يمسكُ بيدي ...

يستدرجني إلى هاويةٍ لا مستقرَ لها

بلا قرارات ...

بلا نتائج ...

بلا حلول...!!

سرابٌ يغريني...

وأعلمُ يقيناً أنه سراب

أحاولُ التقاطَ النجوم...

وأدركُ أنّي أعيشُ خرافة

حياةٍ تكسوها الطلاسمُ

وأنا...لستُ بعرافة...!!

أنا أنثى تنزفُ بذورَ تفاحةٍ

لعنَتْ أنوثتها...

وأسقطتها صحراء الهلاك

أنثى أغواها شيطانٌ

تسلّلَ بحور طيبتها

ليُراهنَ على كبريائها

أنثى تزفرُ العمرَ وردةً

تذبلُ مع أولِ قطرة

أنا الآهة الكبرى...

في عالم أصمْ

أنا الزفرة الأخيرة ...

لعمرٍ يُحتضر

أنا الطلقة الأخيرة ...

لولادة الحزن

أنا لستُ أنا....

وليتني ماكنتْ

****

لعبة الطفولة

قُمْ حبيبي كفاك مزاحاً

قُمْ حبيبي ولننهِ هذه اللعبة

كبرنا يا أخي... كبرنا

ولم نعد نلعب لعبة الشهادة ...!!

كفاكَ ... فقد أتقنتَ دور البطولة

مازلتُ أكتوي بذكرى طفولتنا....

ومرارة تلك اللعبة

دور البطولة لم يخلعك عنه...

ولم تبقَ مجرد لعبة

أتذكرين أختاه ذاك الشهيد الصغير

كم بكيناه ونحن صغار

كّم قبلّنا جدائله الشقراء ...

وكم طفنا حوله مراراً

كَبُرَ الشهيدُ وكَبُرَتْ لعبة الطفولة

ابكِيه الآن مريمُ ...

فلم تكن في الماضي مجردُ لعبة

إنه الله من درّبنا على يومنا هذا...

إنه الله من أحبه واصطفاه منذ الصغر

إنه الله من وهبه العلم والزُهدَ ...

وهيأه لهذه المرتبة...

نعم أختاه ...لقد انتهى وقت المزاح

ابكيه الآن ... ولا تندبي !!

فقد كان يكره النواح

ابكيه بصمت وادفني العبرات...

بين الضلوع تتقد جمرًا يكوي الفؤاد

كيف لا نبكيك يا أخ الحرائر ...

وقد مزق مهجتنا الفراق !!

قسما بالقاني الذي جرى...

من محياك يا قرة عيني

لو أن قاتلك معلوم ...

لن يشفي غليلي أن أقتلعَ كبده

لكنهم حثالةٌ نكرة

ضباعُ البراري جاؤوا ....

ينتهكونَ حرمة بلادنا

ومن الأمهاتِ يجترون الأفئدة

أشتاقكَ يا ابن أمي وأبي...

والدمعُ في مقلتيَّ يثورُ متقداً

وغصةٌ في القلبِ تخترقُ القاع

محرومةٌ أنا...

من مسح جبينك المتدفق طهراً

وارِ جثمان أخيك كما أوصاكَ يا محمد

وقبّل جبينه سبع قبلات

ففي كل قبلة منا رسالة

وفي كل قبلة لوعة ورجاء

عساه يمازحنا ويعود...

وتنتهي تلك اللعبة

****

لُغَتي بينَ الزحامْ

هذا أبي ...

وهذه داري ...

وشجرةُ النارنجْ...

وشتاءٌ يلبَسُ ثوبَ الفرحْ ...!!

وعرائسُ الثلجِ تتراقصُ فوقَ بلادي

هذا شتاؤنا قبلَ الربيعِ المُدْمَى...!!

قبلَ صريخِ الكونِ ...

صرخةَ الموتْ

هذه داري...

وتلكَ ذكرياتُنا تختبئُ بينَ الحطامْ

تَتَوارى مِنْ شظايا تُمزِقُها

ذاكَ قلمي أصبحَ أبكماً...

وطاولتي مُقْفَرة...

ومكتبتي تبكي الفِراقْ...!!

دُميَتي وُئِدَتْ دونَ ذَنْبٍ...

وشُموعي ذابَتْ مُطفَأةً...

مصهورةً بجمرِ الربيعْ

قد كانَ فَصلاً يشبهُ العيدْ...

والآنَ باتَ لحنَ الوداعِ لكلِّ شهيدْ

في غُرفَتي شبحٌ أصَمْ...

وطَيفي يصرخُ كلَّ يومٍ...

يَهزُ جُدرانَ الغرفة...

يَلطمُ وجهَ المكانْ ...!!

يصرخُ متى ...

متى أعودُ ونعودُ...؟!

لكنَّ داريَ جثمانٌ هامِدٌ ...!!

لا تُصْغي لصوتِ طَيفي

ولا يَرتدُ فيها صدى

ويعودُ طيفيَ خائباً...

مُتصدعاً...

مَخنوقَ الحَنجرة ...!!

يعودُ ليهُزَني ...

يُزلزلني ...

يُبعثرني ...

ويدايَ مكبلة ...!!

صوتي وحيدٌ...

صوتي وحيدٌ لا يمتدُ إلى المدى

ولغَتي ضَاعتْ بينَ الزحامْ

****

وصية

قال: لا تندبي...

لا تنوحي

لا تُحرقي بدموعكِ روحي

واجلسي بصمت حالك...

وعن عبراتك لا تبوحي

دعي وجنتيك دون خدش

واكظمي غيظك

قسراً ...

ومع الجموع روحي

حتى إذا انفضوا من حولك كلّهم...

حينها ...

اصرخي بأعلى صوتٍ

وا آخاه...

رحلَ سندي ...

ورحلتْ معه سكينةُ روحي

....

ها أنا يا أخي ...

أكظم غيظي

وأكبُتُ العبرات في فؤادي

أنتظر الخلوة

أتأملُ صورتكَ وأعودُ بذاكرتي

تقتلني طفولتنا الحلوة

ويضيقُ الكونُ فيخنقني...

وأعوذُ بالله من الشكوى

في صدري جمرٌ متقدٌ ...

تطفئه دمعةٌ مُرة ...

ويعودُ فيتقدُ ثانيةً

ويعودُ ثالثةً ....

ورابعة...

وكلّ يوم يعاودُ الكَرْة

ها أنا أنتظر يا أخي ...

خروجَ صرختي الحَرَّة

****

ولو ساعة

للأسف ...

وألف أسف

وطنُ العربِ عاري الشرفْ

حين كان الجهلُ سائداً ...

تَكنَّتْ بأخواتها رجالُ العرب ...!!

للأسف ...

وألف أسف ....

جاءَ العِلمُ وزادتْ الخُطبْ

وحلٌ لطخ شيبتنا ...

ودسائسٌ يشوبها اللهبْ

للغرب بتنا سخريةً ...

ونسينا العلم والأدبْ

للبغي فُتحت صالوناتٍ ...

كانت تُشدى فيها تغاريدُ الأدبْ

ويأتي ابن عمي ...

فينهشُ لحمي

وعذرهُ أني ...

لستُ من ثورة الغضبْ

ويأتي قريبٌ أخاله حبيب

بسهمٍ رماني ...

وخلسة ذهبْ

وهذا جاري لجرحي يواري ...

ويفضحُ سري في غيبة ظهري

أفتشُ وراءه فلا أجد السبب

ماذا أقول ...؟؟!!

ويكثرُ قولي ...

وما عاد ينفع في بلدي العتب

للأسف ...

يا للأسف

على حضارات عمرها سنون...

ضاع عمرها ...

وضاع التعب

....

في حَجَرِ بلادي روايات ...

لم تُبنَ أبداً من شغب

مجدٌ من تعب أجدادي...

من عرق طاهر تصبب

ونُواسي خيبتنا المُرة...

بأكاذيب ...

وتبريرات ...

وشعارات ...

لا تسد أيّة ثغرة ...!!

في وطني فوهة بركان...

لا تعرف أين ترمي الجمرة

ويفيضُ السيلُ في أرضي...

يقتلعُ جذورَ أجدادي ...

لا يُبقي منها ولا ثمرة

وخيولُ بلادي قابعةٌ...

يروّعها أقزامٌ نكرة

....

ساعة ...

ولو لساعة ...

تلك اللواتي كانت مهورهن الفتوحات

بتنَ يُرغَبنَ ولو ساعة!!

نُحِرَ الصبا ...

نُحِرَ الصبا على عتبات الحرية

وأُعدم بحبالٍ ديمقراطية

وذئاب حولهن كثرت ...

هذي خادمة...

وتلك سبية ...

ودولارات تهطل بلا عدد

من يبيع عرضه ...؟!!

فهيّا...

للأسف ...

ويا... للأسف ....

على حرائر سورية !!

وعلى هذا البلد

****

ماذا ينقصكِ؟!

ماذا ينقصكِ...؟!

تنقصني ذاتي...

وأجمل تفاصيل حياتي...

تنقصني أجنحتي المبتورة

وكل تأملاتي...

تنقصني ابتسامتي التي ...

التهمتها ممحاة خداعك وخياناتك

ينقصني أن يُفكَ عني حبل المَسَد...

الذي يربطني بالرحى

ينقصني ماء يطفئ لهب الذكريات

وأحلامي التي وئدت...!!

وتسألُ ماذا ينقصني...؟!

ينقصني وطن...

ينقصني ما دفنته تحت تراب الوطن

ينقصني اعترافات الوطن

وتأريخ الوطن لنجاحاتي

ينقصني ريح أحبتي...

وضحكاتي التي أودعتها عند أصدقائي...

ينقصني الحظ....

والحظ ... والحظ....

ينقصني أن أكون أنا...

تنقصني مرآتي

وتسألُ ماذا ينقصني...؟!

لا ينقصني في هذه الحياة سوى...

ذاتي

****

نزف الوطن

عجزَ القلمْ ...

عن وصفِ جرحِكَ يا وطن

وتلاشَتْ الحروفُ خجلاً

نحروا العروبةَ....

ونسوا أنَّهُمْ عربُ

وتقاضوا عن إخوانهم

ثمناً رخيصاً

ماذا تنزُفُ على الصفحاتِ ...

أيها القلمُ ...؟!

أتخطء اسمَ أخٍ قتلَ أخاه ...

.. متعمداً ..

أم تروي نواحَ خبزٍ ...

على أرصفةِ الطريق

ماذا تخطُ يا قلمْ ...؟!

عن تلك الثكالى النائحاتِ

لا ليلهُنَ سَكنَ ...

ولا بزغِ عليهنِ فجر

جررْ حروفكَ يا قلمْ ...

واحتبسْ الدمع

واتركْ مدادَ الدم ...

يروي نزفَ الوطن

****

ليتني

ليتني أعودُ وأراكَ...

فاتحاً ذراعيكَ نحوي

اتفاجأ بأنّكَ كنتَ تمازحني

لتعرف مدى حبي لك

وأنَّ تلك الدماء التي...

لطختْ مُحياكَ

ماهي إلا عصير الأرجوان

وأنَّ ذاك القماش الأبيض...

لم يكن إلا ستاراً

وتلك الدموع التي ...

تَصبّرتْ في مقلتيّ

كانت تعرف أنَّك هنا

وأنَّ موتكَ مجرد خيالْ

****

السطر الأخير

هنا ...

في تلك الزاوية

كان يجلسُ أبي

هنا...

تصاعدتْ أناتُ أبي

هنا ...

في تلك الزاوية

رَقدَ أبي ...!!

وأنا ....

أنا مولودةٌ كأبي

أنا صورةٌ عن أبي

وشامةٌ على خدي ...

هي ذاتها كانت تغفو ...

على خدِ أبي

وكما أبي ...

يغريني طعم العزلةِ

وطعم الشرود المطول

يغريني الإبحار بين ألحان الناي

والرحيل مع صهيل الحب

وكما أبي ...

أرتشف قهوتي دون نديم ...!!

وأشرد فيما لا يشرد به من حولي

ممتدة أوجاعي لا تنتهي

وكما أبي ...

يطربني صوت الترتيل

وحين تحارُ أفكاري ...

تشفي صدري عبارة:

" حسبي الله ونعم الوكيل "

هكذا كان أبي...

هنا ...

في تلك الزاوية ...

تساقطت دموع أبي

لتخط من حياته ...

السطرَ الأخيرْ

هنا ... أبي انتهى

لأبدأ أنا...

وأكمل مشوار الرحيلْ

وأغرسُ حروفي في دنيا الفناء

حتى تحكي عني

حكايةَ العمرِ القصيرْ

وتخبر الناس عني ...

بأنّي ...

صورة عن رجلٍ ما أغمضَ الجفنَ ...

إلا وعلى كتفيهِ حملٌ ثقيلْ

أودعهُ ببابي ...

وقالَ: هذي صفحاتي ...

قلّبيها بينَ الحينِ والحينْ

وأكملي ما فاتني يا قرة عيني

فكمْ حسبتُ أنَّ العمر طويل

لكنّني وبطرفةِ عينٍ ...

ما خلتُها قادمة هذه النهاية

بسرعةٍ تطيرْ ...!!

أغلقتُ أبوابَ عمري

فافتحيها من بعدي

تلكَ مفاتيحي خُذيها...

الصمتُ...

والصدقُ...

والصبرُ الجميل

ولا تغمضي جفنكِ يا حبيبتي

قبل أنْ تَخُطي ...

السطرَ الأخيرْ

2012\2\3

" يوم وفاة أبي "

****

الفصل الخامس

حيكوا أكفانكم كيفما شئتم ...
لن تحيكوا كفناً للوطن ...!!
شآم العروبة من الله مباركة ...
لن تدنس بأيدي أقزام ثُمَلْ ...!!
كل الفصول تبدلت معانيها ...
وطال التغيير حتى العَلَمْ ...!!!
عُراة أخلاقٍ جئتم تتشدقون بالقيم
كل الأديان في وطني اسمها عرب...
وأنتم تحارون في تسمية الأمم ...!!!
لصوصُ نفطٍ...
خيرات بلادي أتيتم تنهبون
وخلعتم العقول حتى تهتم بغير القضية
القدس والجولان بُحَتْ حناجرها....
وأنتم طواحين تقاتلون...!!
بعضكم يجلد بعضاً ...
سياط أنتم بيد صهيون

خذوا فصلكم الخامس وارحلوا...
نحن أمة لا يفنيها ألم ...!!
فصل الجحيم لن يحرق سواكم
فازرعوا ما شئتم بذور الحمم
أفئدة تمزق داخل وطني ...
ومن أقاصي الجهل جئتم تنبحون...!!!
لعبة قذرة خيوطها بائنة ...
كل في رأيه مستبد
هكذا ضاعت الأمم

****

ختام الديوان

ديوان دمعة حرة للأدبية الرائعة الأستاذة هبة ماردين

تحدث الأساتذة عن الديوان بشكل رائع و متميز في بداية صفحات الديوان لما يحمل من مشاعر نابعة من وتين ينزف دمًا فكان الصدق و الوفاء عماد هذا الديوان

و رغم نهر الألم الذي تملئه حمم الفقد و الحرمان

و الاشتياق لما كان يومًا و ولى

إلا أنها رسمت بريشة سحرية بناء فولاذي من الذكريات

التي حين تقرأها تسلب عقلك و تجد نفسك تتخيلها فتراها عين اليقين

ديوان يحمل الألم و يسطر الأحزان

يلمس كل القلوب التي فقدت و مازلت تفقد

الأخ و الأب و الأبن و الزوج و الأم

في طوفان من الحروب ضحاياه دائما

هم الأبرياء و البسطاء و أصحاب القلوب الرحيمة

فتتوالى صفعات الحياة بكل قسوة و لا تنتهي

كل الشكر و التقدير للشاعرة المبدعة هبة ماردين

كان تنسيق و إخراج الكتاب مؤلم إلا أني

سعدت جدًا و أنا أرى أحدث رؤى العين

ما تخيلت أن أراها أو أن تكون بكل هذه القسوة

محمد وجيه

عضو اتحاد كتاب مصر

****

السيرة الذاتية للشاعرة

هبة ماردين من مواليد سورية\حلب **1982**م، درست القانون في كلية الحقوق جامعة حلب.

تكتب قصيدة النثر والخاطرة والقصة القصيرة والقصة القصيرة جداً والومضة القصصية.

- عضو المنتدى الثقافي الشهري في مديرية الثقافة في حلب، المسؤول الثقافي في نادي صدى حواء الثقافي، عضو في الاتحاد العام النسائي، عضو إداري في المنتدى الثقافي " عشتار" حلب.

- شاركت في منابر حلب الثقافية نشرت في الصحف المحلية السورية.

- كرمت في عدة مهرجانات أدبية.

- نالت لقب سفيرة الطفولة والسلام من المنظمة الوطنية لحماية الطفولة والشباب \الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية عام **2018**م

- أدرج اسمها في معجم الأدباء (إبداعات حلبية معاصرة عام 2015).

- المؤلفات:

- بحث اجتماعي بعنوان " التدخين بين الحياة والموت" \ دار الثريا 2009م.

- " وجه في الظلام " قصائد نثر \ دار الوعي العربي 2010م.

- " صدى حواء" قصائد نثر \ دار الوعي العربي 2010م.

- "وميض النجوم" ومضة قصصية كتاب مشترك مع أدباء من الوطن العربي\ دار ببلومانيا 2017م

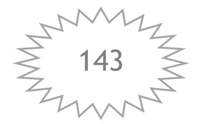
- "ترانيم القصص" الجزء الرابع قصص قصيرة جداً كتاب مشترك مع أدباء من الوطن العربي\ دار ببلومانيا2017 م

- " قلم رصاص " الجزء الثاني خاطرة كتاب مشترك مع أدباء من الوطن العربي \ دار ببلومانيا 2017م

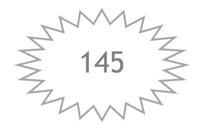
- "أحسن القصص" الجزء الثاني قصص قصيرة مشترك مع أدباء من الوطن العربي \ دار ببلومانيا 2017م

فهرس الديوان	
الإهداء	4
مقدمة الكتاب	5
قراءة نقدية لنص دمعة حرة	14
أحمد	20
أشتاقك والشوق يضنيني	23
أنا العربيّ	25
أيناك يا وطني	29
ويحدث أنْ	34
سألني البحر	37
دمعة حرَّة	40
الرحمة	44
ألِسْ في المنفى	46










ديوان العرب


ديوان العرب
للنشر و التوزيع